صفات التوراة والإنجيل في القرآن الكريم ـ دراسة تحليلية

د. حاتم بن عابد القرشي*

سلم البحث في ١٢/١٠/١٤٤٠هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤/١١/١٤٤٠هـ

ملخص البحث:

تناول البحث موضوع صفات التوراة والإنجيل في القرآن الكريم، ويهدف إلى بيان مكانة هذه الكتب في الشريعة الإسلامية، ومدى توافق واختلاف الصفات بين هذه الكتب الإلهية. وقد وردت التوراة في القرآن في ثمان عشرة موضع، وورد الإنجيل في اثنتي عشر موضعاً. وبين البحث أن التوراة والإنجيل اتصفت في القرآن الكريم بصفات عدة منها أنها نور وهداية وجاء فيها تفصيل لشريعة من أنزلت عليهم، ووجوب التحاكم إليها، كما أن القرآن عندما نزل جاء مصدقاً لها ولاتحاد مصدرها وكون جميع الكتب التي أنزلت على الأنبياء منزلة من رب العالمين، وفي ذات الوقت أصبح القرآن مهيمناً عليها وناسخاً لها، لأنه الكتاب الإلهي الأخير، وقد تكفل الله بحفظه وصونه عن التحريف والنقص والزيادة.

وأوصى البحث بنشر هذه الثقافة لدى العالم الغربي وبيان مكانة التوراة والإنجيل وموسى وعيسى عليهما السلام عند المسلمين وفي شريعة الإسلام.

ABSTRACT:

The research deals with the characteristics of the Torah and the Bible in the Holy Quran ،and aims to indicate the status of these books in Islamic law ،and the compatibility and different qualities between these books of God. The Torah was mentioned in the Qur'an in 18 places ،and the Bible was mentioned in twelve places. And the research that the Torah and the Gospel was classified in the Koran in several qualities ،including light and guidance and came in the details of the law of the revelation of them ،and the need to accuse them ،and the Koran when he came came certified and atheist source and the fact that all the books that were revealed to the prophets status of the Lord of the Worlds ،At the same time ،the Qur'an became dominant and a copy of it ،because it is the last divine book ،and God has ensured that it is preserved and preserved from distortion ، deficiency and increase .

The research recommended spreading this culture in the Western world and showing the status of the Torah and the Gospel ،Moses and Jesus peace be upon them in the Muslims and the law of Islam.

* الأستاذ المشارك بقسم القراءات بكلية الشريعة والأنظمة جامعة الطائف، المملكة العربية السعودية.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد: فإن الله تعالى أرسل رسله لهداية الناس، وأنزل معهم كتباً مصدِّقة لهم في دعواهم، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾[البقرة: ٢١٣]، وكان من بين هؤلاء الرسل ممن أرسلهم الله تعالى إلى بني إسرائيل، موسى وعيسى عليهما السلام، وأنزل معهما كتبه المقدسة التوراة والإنجيل هدى للناس.

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر التوراة والإنجيل، وذكر جملة مما اشتملا عليه من خصائص وأحكام وشرائع وأوصاف، ونظراً للعلاقة الوطيدة بين القرآن والتوراة والإنجيل، باعتبار اتحاد المصدر، جمعت همتي في هذا البحث؛ لإظهار مكانة هذه الكتب الإلهية لدينا في الدين الإسلامي، وطرحت هذه الأسئلة للإجابة عليها في هذا البحث:

- ما هي منزلة التوراة والإنجيل في القرآن الكريم؟
- ما هي صفات التوراة والإنجيل في القرآن الكريم؟
- ما هي نقاط الاشتراك أو الافتراق بين هذه الكتب الإلهية؟

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تنبع أهمية الموضوع وأسباب اختياره من النقاط التالية:

١- تعلق الموضوع بكتاب الله تعالى القرآن الكريم، والكتب الإلهية المنزلة من عند المولى عز وجل على أنبيائه ورسله.

٢- بيان منزلة الكتب الإلهية التوراة والإنجيل عند المسلمين، وإبراز ذلك لغير المسلمين.

٣- بيان إنصاف القرآن الكريم للتوراة والإنجيل، وثنائه عليهما، دون إجحاف أو إغفال.

٤- بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين التوراة والإنجيل والقرآن الكريم من حيث الأوصاف الوارد ة في القرآن الكريم عنها.

الدراسات السابقة:

بعد بحث وتحري لم أقف على دراسات سابقة تناولت صفات التوراة والإنجيل في القرآن الكريم. وهناك بعض الدراسات قريبة من الفكرة أو ول الحمى، منها:

– صفات اليهود كما يصورها القرآن الكريم – دراسة موضوعية بيانية، د. زكريا الزميلي، رمضان يوسف الصيفي، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة. ونلحظ أنها دراسة اعتنت باليهود كفرقة وليست بكتابهم المنزل.

– الإسلام والأديان الأخرى، نقاط الاتفاق والاختلاف، لواء أحمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي. وهذا البحث أوسع من سابقه وتركيزه على الأديان بشكل عام وليس الكتب الإلهية لهذه الأديان.

وبحثي أخص مما سبق فهو يعتني بجزئية في اليهودية والنصرانية، فلا يبحث فيهما كأديان ولا في كتبهم، بل في أوصاف كتبهم في القرآن الكريم، ومن هنا تأتي الإضافة في مثل هذا البحث، والله الموفق.

منهج البحث:

لقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتتبع لآيات القرآن الكريم التي تناولت الحديث عن صفات التوراة والإنجيل، ومن ثم التحليل لها للوقوف على الصفات التي اختصا بها وبيان المراد منها، مع الاستنباط اللازم لربط المقدمات بالنتائج عن طريق التأمل والملاحظة.

كما قمت ببعض الإجراءات المهمة للبحث وهي:

١– رسم الآيات القرآنية بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم وتوثيقها من سورها في نفس الموضع، ولمرة واحدة عند أول ورودها.

٢– تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية المعتمدة، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإلا أرجع إلى الكتب الأخرى لتخريج الحديث بقدر المستطاع.

٣– توثيق الأقوال من مصادرها الأصلية.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: التعريف بالتوراة والإنجيل.

المبحث الأول: دراسة صفات التوراة في القرآن الكريم.
المبحث الثاني: دراسة صفات الإنجيل في القرآن الكريم.
المبحث الثالث: دراسة الصفات المشتركة مع القرآن، والتي انفردت عن القرآن.
ويشتمل على مطلبين:
المطلب الأول: دراسة الصفات المشتركة بين الكتب الإلهية (التوراة والإنجيل والقرآن).
المطلب الثاني: دراسة الصفات التي انفردت بها (التوراة والإنجيل).
الخاتمة: فيها أبرز النتائج والتوصيات.

التمهيد: التعريف بالتوراة والإنجيل
أولًا: التعريف التوراة

كلمة "التوراة" كلمة عبرانية معناها الشريعة، أو التعليم، أو التعاليم الدينية[(١)].
وهو الكتاب المنزل من رب العالمين قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[آل عمران: ٣]، وهو المنزل على نبي الله موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ٥٣]، والكتاب هو التوراة، قال ابن جرير: "الكتاب" نعتاً للتوراة أقيم مقامها، استغناء به عن ذكر التوراة". اهـ[(٢)]، وقال ابن عاشور: "التوراة اسم للكتاب المنزل على موسى عليه السلام، وهو اسم عبراني أصله طورا بمعنى الهدى، والظاهر أنه اسم للألواح التي فيها الكلمات العشر التي نزلت على موسى عليه السلام في جبل الطور؛ لأنها أصل الشريعة التي جاءت في كتب موسى، فأطلق ذلك".اهـ[(٣)]

وأنزلت التوراة على موسى جملة غير مفرقة بخلاف القرآن[(٤)]، وهي من أقدم الكتب السماوية التي نص عليها القرآن الكريم، ويطلق اسم التوراة أساساً على الأسفار الخمسة الأولى من كتاب العهد القديم، وهي: التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية. ويطلق على التوراة كذلك مسميات أخرى مثل الأسفار الخمسة، أو أسفار الشريعة، والناموس وأسفار موسى الخمسة. وقد يطلق اسم التوراة على العهد القديم بأكمله من باب إطلاق الجزء على الكل[(٥)].

ولقد درج كثيرون على إطلاق اسم التوراة على أسفار اليهود كلها، والحقيقة أن الدقة تقتضي تسميتها "العهد القديم"، ذلك أن التوراة ليست إلا جزءا منه[(٦)].

ولقد بلغ موسى عليه السلام التوراة إلى قومه كما أمره الله، ثم حصل فيها التحريف اللفظي والمعنوي، والأدلة على ذلك كثيرة ليس هذا مجال الاستطراد فيها[(٧)].

وقد شهد بذلك مصادر عديدة، ومن ذلك جاء في دائرة المعارف البريطانية: "التوراة ليست كتابًا واحدًا ولكنها تتكون من مجموعة من الكتب، استغرق تأليفها قرونًا عديدة. وإنها لم تكتب بلغة واحدة ولكنها كتبت بالعبرية ثم استكملت باللغة الآرامية. وضمت آخر كتبها باللغة الإغريقية، وقد اشترك في كتابتها رجال لهم قدر من العلم وآخرون حظهم من المعرفة ضئيل"(٨).

فالتوراة الحالية ليست هي المنزلة على موسى عليه السلام وقد حرَّف اليهود التوراة تحريفاً مادياً ومعنوياً، أما التحريف المادي اللفظي فكان للكلمات والفقرات بأخرى فأزالوا وقدموا وأخروا وبدلوا وأضافوا حسب أهوائهم، وأما تحريفهم المعنوي فكان بتغيير مدلول الكلمات لتوافق أهواءهم وانحرافاتهم العقدية والأخلاقية(٩).

والخلاصة أن التوراة الحالية ليست هي توراة موسى عليه السلام، ولا صلة لموسى بها، وإنما هي شتات مجمع جمَّعه أحبارهم ودونوه في أزمنة مختلفة.

ثانيًا: التعريف الإنجيل:

كلمة "الإنجيل" كلمة يونانية، تعني الخبر السعيد أو البشارة(١٠). ويطلق على الكتاب المنزل من عند الله تعالى على عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾[المائدة: ٤٦] قال ابن عاشور: "وأما الإنجيل فاسم للوحي الذي أوحي به إلى عيسى عليه السلام فجمعه أصحابه"(١١).

والإنجيل يطلق عند النصارى على أربعة كتب تعرف بالأناجيل الأربعة، هي: يوحنا، بولس، مرقص، ومتَّى. وضُمَّ إليه مع هذه الكتب الأربعة أعمال الرسل (أي الحواريين) ورسائل بولس وبطرس ويوحنا ويعقوب ورؤيا يوحنا(١٢).

ويُعرف الإنجيل بالعهد الجديد، وهو الجزء الثاني المكمل للعهد القديم، والعهدان معاً يطلق عليهما الكتاب المقدس، مع الزيادات التي أُدخلت فيهما.

والإنجيل لا يحتوي على شرائع –وقد جاء مكملاً لشريعة موسى عليه السلام، وإنما هو أشبه بكتب السيرة من حيث احتوائه على أخبار عيسى عليه السلام، ومع هذا فقد أغفلت الأناجيل جزءاً مهماً في حياته. وعلى سبيل المثال فقد قام بعض الباحثين بحساب الفترة التي تلزم لإتمام الأحداث التي يرويها إنجيل مرقس فوجدوا أنها لا تتعدى ثلاثة أو أربعة أسابيع، وهي فترة قليلة للغاية من حياة المسيح عليه السلام، مما جعل بعض الباحثين يعتقد أن الثغرات الموجودة في روايات الإنجيل لابد أن تكون هي الجزء

الجدير بالاعتبار[١٣].

وهذه الأناجيل المبتدعة، كُتبت في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، ويرجح بعض الباحثين أن أحدث هذه الأناجيل وهو إنجيل يوحنا قد دُوِّن بعد المسيح عيسى عليه السلام بفترة تتراوح ما بين ٧٠ – ٩٠ عاماً. كما أن هذه المدونات قد تمت في عصر اتسم بالوثنية والاضطهادات والقسوة، مما كان له بالطبع أثره على التدوين والمدونين[١٤]. وهي في ذاتها عبارة عن اجتهادات لم تُسمَع من عيسى عليه السلام مشافهة، وبعضُها مِن دَسِّ اليهود[١٥].

وغني عن القول أن التحريف قد طال الإنجيل كما حدث للتوراة، ولا أدل على ذلك من تعدد الأناجيل، والتناقضات التي احتوت عليها في نسخها، وذلك بخلاف انقطاع السند عن المسيح عيسى عليه السلام واختلاف لغة الإنجيل[١٦].

المبحث الأول

دراسة صفات التوراة في القرآن الكريم

أولاً: العد الإحصائي لورود التوراة في القرآن الكريم:

ورد ذكر (التوراة) في القرآن الكريم ثمانية عشر مرة[١٧]. مرتبة على النحو التالي:

١. ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣].

٢. ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨].

٣. ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [آل عمران: ٥٠].

٤. ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥].

٥. ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣] وردت مرتين في الآية.

٦. ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٣].

٧. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[المائدة: ٤٤].

٨. ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى

وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦] وردت مرتين في الآية.

٩. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].

١٠. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[المائدة: ٦٨].

١١. ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠].

١٢. ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

١٣. ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾[التوبة: ١١١].

١٤. ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ [الفتح: ٢٩].

١٥. ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ [الصف: ٦].

١٦. ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة:٥].

فنجد أن كلمة (التوراة) وردت ست مرات في آل عمران، وسبع مرات في المائدة، ومرة في الأعراف، ومرة في التوبة، ومرة في الفتح، ومرة في الصف ومرة في الجمعة. وجميع السور التي وردت فيها هي سور مدنية، ما عدا موضع سورة الأعراف فهي مكية[١٨]. فغالب ذكر التوراة هو في المدينة، وذلك ملائم لحال وجود اليهود في المدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ.

كما نلحظ أنه لم يرد في القرآن ذكر التوراة مسندة إلى موسى عليه السلام، وإنما الذي جاء ذكره مسنداً إلى موسى عليه السلام هو الكتاب والألواح والصحف[١٩] –ومواضع

ذلك كثيرة في القرآن سيأتي ذكرها في الصفات-، وذلك بخلاف الإنجيل الذي جاء التصريح نسبته لعيسى عليه السلام. وهذا موضع بحث عن نكتة عدم التصريح بنسبتها لموسى، والذي يظهر بادي الرأي -والله أعلم- أن إسناد الكتاب لموسى عليه السلام وليس التوراة فقط؛ لأن الوحي الذي أعطاه الله موسى عليه السلام أوسع من التوراة، فقد أنزل الله عليه الألواح والتوراة وهما شيئان مختلفان، والتوراة كتبها الله بيده لموسى -كما سيأتي-، وبهذا يتضح أن الخطاب في القرآن بإسناد الكتاب لموسى أشمل من إسناد التوراة فحسب؛ لتشمل باقي ما أنزله الله عليه، بينما عيسى عليه السلام لم ينزل عليه إلا الإنجيل فلذا جاء التصريح به[٢٠].

وأما ثبوت اسم كتاب موسى وأنه التوراة فهذا حق لا ريب فيه، ويدل على ذلك ما ثبت في السنة عن أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ قال: (التَقَى آدمُ وموسى فقال موسى لآدمَ آنْتَ الذي أَشْقَيْتَ النَّاسَ وأَخْرَجْتَهُمْ مِنْ الجنَّةِ قال آدمُ أَنْتَ موسى الَّذي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرسالَتِهِ واصْطَفَاكَ لِنَفْسِهِ وأَنْزَلَ عليكَ التَّوْرَاةَ قال نعمْ قال فَوَجَدْتَهَا كُتِبَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي قال نعمْ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى)[٢١].

والتوراة لها منزلة عظيمة انفردت بها عن باقي الكتب الإلهية وهي أن الله كتبها بيده، كما ثبت في الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسل الله ﷺ قال: (احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى)[٢٢].

أما صفات التوراة، كما عرضها القرآن الكريم، فهي:

فقد أخبر القرآن الكريم بكل حيدة وموضوعية عن خصائص التوراة وصفاتها في سبيل المدح، والغاية المقصودة من إنزالها، وبيانها كالتالي:

أولًا: التوراة منزلة من عند الله تعالى:

جاءت عدة آيات تؤكد أن التوراة أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ [هود: ١١٠]، وقال: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: ٢]،

وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الفرقان: ٣٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [السجدة:٢٣].

والكتاب هنا هو التوراة، وهو قول قتادة ومقاتل[٢٣]، وقول الفراء وابن جرير والسمرقندي والسمعاني وابن الجوزي وابن كثير[٢٤]، وحكى فيه الإجماع ابن عطية والشوكاني، قال ابن عطية: "و ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو التوراة بإجماع المتأولين". اهـ[٢٥].

ويؤكد أبو زهرة على تلك الخاصية التي يتصف بها هذه الكتب (التوراة، والإنجيل، والقرآن)، فيقول: "في هذا النص الكريم بيان لشرف التوراة قبل أن يحرفوها ومكانها من الحق، فبين سبحانه شرفها الذاتي، وشرفها الإضافي، بين أنها منزلة من عند الله تعالى، فقال تعالت كلماته: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ هو سبحانه وتعالى المنزل لها، وأكد ذلك الشرف بـ(إنَّا)، وبإضافة ذلك التنزيل إليه تعالت كلماته، وتقدست كتبه"[٢٦].

ومن المعلوم أن الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله على رسله عليهم السلام هو أحد أركان الإيمان قال الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]

قال ابن جرير في تفسير: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ "يقول: وآمنوا بالكتاب الذي أنزل الله من قبل الكتاب الذي نزله على محمد ﷺ، وهو التوراة والإنجيل".اهـ[٢٧] قال أبو حيان: "والكتب المنزلة من عند اللَّه سواء، إذْ كلها حق يصدق بعضها بعضاً. فالكفر ببعضها كفر بجميعها"[٢٨].

وفي الحديث عن ابن عمر ﷺ، قال: أتى نفر من يهود فدعوا رسول الله ﷺ إلى القُفِّ، فأتاهم في بيت المدارس، فقالوا: يا أبا القاسم إن رجلاً منا زنى بامرأة فاحكم بينهم، فوضعوا لرسول الله ﷺ وسادة، فجلس عليها، ثم قال: (ائتوني بالتوراة)،

فأُتي بها، فنزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها، ثم قال: (آمنت بك وبمن أنزلك)[٢٩].

ثانيًا: التوراة مُفصِّلة للأحكام الشرعية:

جاء في القرآن النص على أن التوراة جاءت مفصِّلة لشريعة من أُنزلت عليهم، فجاء فيها بيان الحلال والحرام، ولقد جعلها الله تشريعاً وهداية لبني إسرائيل، وضمَّنها مجموعة من الأحكام التشريعية لهم. وقد أخبرنا الله في القرآن عن بعض ما حرم الله على بني إسرائيل كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ ... [الأنعام: ١٤٦].

والتوراة أعظم كتب بني إسرائيل، وفيها تفصيل شريعتهم وأحكامهم التي أنزلها الله على موسى عليه السلام. قال السعدي: "كانت تشتمل على كل شيء يحتاجون إلى تفصيله، من الحلال والحرام، والأمر والنهي، والعقائد ونحوها"[٣٠].

ومن الآيات التي صرَّحت بكون التوراة جاءت مفصِّلة، قول الله سبحانه: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤] .

والكتاب هنا هو المعهود، أي التوراة[٣١]– وسبق بيان ذلك بإسهاب في الصفة السابقة–، وقال قتادة في المراد بالآية: "﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، فيه حلاله وحرامه"[٣٢]. وقال ابن جرير في معناها: "يعني: وتبييناً لكل شيء من أمر الدين الذي أمروا به"[٣٣]. وقال ابن الجوزي: "أي: تبياناً لكل شيء من أمر شريعتهم مما يحتاجون إلى علمه". اهـ[٣٤] وقال ابن كثير: " أي: آتيناه الكتاب الذي أنزلناه إليه تماما كاملا جامعا لجميع ما يحتاج إليه في شريعته، كما قال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾" اهـ[٣٥].

وجاء التأكيد على كونها مفصلة للشريعة قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥] .

﴿مِن﴾ تبعيضية متعلقة بـ (كتبنا)، ومفعول (كتبنا) محذوف دلَّ عليه فعل (كتبنا) أي مكتوباً، و ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ عام عموماً عرفياً، أي: كل شيء تحتاج إليه الأمة في دينها، والذي كتب الله لموسى في الألواح هو أصول كليات هامة للشريعة التي أوحى الله بها إلى موسى عليه السلام، تبييناً لكل شيء من الأمر والنهي والحدود

والأحكام[٣٦]. وهذا على اعتبار أن الألواح هي التوراة أو جزء منها.

ففي التوراة ـالمنزلة من عند الله تعالى- تفصيل لكل شيء محتاج إليه من أحكام الشريعة: عبادتها ومعاملتها، وهدى لمن اهتدى به، ورحمة لمن تمسَّك به، فينجيه من الضلالة، ليجعل قومه يؤمنون بلقاء ربهم، أي لقاء ما وعدهم الله به من ثواب وعقاب في دار الكرامة والسلام[٣٧].

وجاء أيضاً الرد على اليهود في استناداً لتحريم التوراة بعض ما سبق تحريمه قبل نزولها، فقال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣] ذكر تعالى "أنه لم يكن حرَّم على بني إسرائيل - وهم ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن - شيئًا من الأطعمة من قبل أن تنزل التوراة، بل كان ذلك كله لهم حلالاً إلا ما كان يعقوب حرَّمه على نفسه، فإن وَلده حرَّموه استنانًا بأبيهم يعقوب، من غير تحريم الله ذلك عليهم في وحي ولا تنزيل، ولا على لسان رسول له إليهم، من قبل نزول التوراة"[٣٨]، ثم جاء التوراة وحرَّمت ما حرمه بنو إسرائيل على أنفسهم وإلى هذا ذهب السدي[٣٩].

وذهبت جماعة من المفسرين إلى أن التحريم الذي حصل من بني إسرائيل لم يكن في تنزيل من رب العالمين –وإنْ كان جائزاً في شريعتهم، أو أن يعقوب عليه السلام اتخذه استشفاء، أو عادة– وحتى بعد نزول التوراة لم تحرِّم عليهم ما سبق أن حرَّموه على أنفسهم، حتى نزلت التوراة، فحرَّم الله عليهم فيها ما شاء، وأحل لهم فيها ما أحب. وهذا قول قتادة ورجحه ابن جرير[٤٠]. قال السعدي: "ثم نزل في التوراة أشياء من المحرمات غير ما حرم إسرائيل مما كان حلالاً لهم طيبا، كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [النساء: ١٦٠]. وأمر الله رسوله إن أنكروا ذلك أن يأمرهم بإحضار التوراة".اهـ[٤١]. وهذا هو الراجح والله أعلم، وهو الذي ينسجم مع سياق الآية.

والخلاصة أن الآية جاءت في الرد على اليهود عند احتجاجهم بتحريم التوراة لبعض الأطعمة، فكذَّبهم الله، وأقذعهم بأنه لم يرد فيها التحريم لما قالوا، وإنماء جاءت التوراة بتحريم بعض الأطعمة بسبب ظلمهم وعقوبة لهم، فآية آل عمران تعتضد بآية النساء الأخرى التي تضمنت تحريم التوراة لبعض الأطعمة الطيبة بسبب ظلم اليهود، وهذا من تفصيل الشريعة وكمالها، الذي وصفها بها القرآن الحكيم.

وجاء النص أيضاً من رب العزة أن التوراة تضمنت حكم الله قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٣] والآية تضمنت "تقريعٌ من الله لليهود الذين نزلت فيهم هذه الآية. يقول لهم تعالى ذكره: كيف تقرُّون، أيها اليهود، بحكم نبيِّ محمد ﷺ، مع جحودكم نبوته وتكذيبكم إياه، وأنتم تتركون حكمي الذي تقرون به أنه حق عليكم واجبٌ، جاءكم به موسى من عند الله؟ "[٤٢].

واختلف المفسرون في بيان الحكم الذي تضمنته التوراة، على قولين:

أحدهما: حكم الله بالرجم، وفيه تحاكموا، قاله الحسن.

والثاني: حكمه بالقود، وفيه تحاكموا، قاله قتادة[٤٣].

وبيِّن كذلك أن التوراة فيها من التشريع ما يستقيم حالهم به إذ هم اتبعوها وطبقوها تعبداً لله، قال جل من قائل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦] وأكد ذلك بأنهم ليسوا على هداية إن لم يتبعوا التوراة فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨] والآيتان في سياق مخاطبة أهل الكتاب ويشمل اليهود والنصارى وما أنزل لهما من كتب إلهية.

بل إن التوراة لكمال ما تضمنته من شريعة من رب العالمين بقي حكمها حتى بعد موسى وهارون ث قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾

قال ابن حزم: "حكم بها النبيون الذين أسلموا كموسى وهارون وداود وسليمان، ومن كان بينهم من الأنبياء عليهم السلام، ومن كان في أزمانهم من الربانيين والأحبار الذين لم يكونوا أنبياء، لكن حكاماً من قبل الأنبياء عليهم السلام قبل حدوث التبديل".اهـ[٤٤] بل ذهب مقاتل بن سليمان إلى أنه حكم بها ألف نبي من لدن موسى عليه السلام إلى عيسى ابن مريم عليه السلام[٤٥].

ثالثًا: التوراة كتاب هدى ونور ورحمة:

جاء وصف التوراة في القرآن بأنها هدى ونور ورحمة، وتنوعت الأساليب في هذه الأوصاف، فتارة يقرن بين الهدى والنور، وتارة يصفها بالهدى فقط، والتنوع دال على التعظيم والتفخيم لهذا الكتاب العظيم المنزل من رب العالمين، ومن ذلك:

جاء الجميع بين النور والهدى في وصف التوراة، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾[المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ﴾[الأنعام: ٩١].

وهذه الألفاظ غنية بالمدح والثناء للتوراة، فالهدى هداية من كل ضلالة، وهداية لمعرفة الحق، والنور يكشف للسائر طريقه ليعرف الخير ومن الشر، وكشف للشبهات التي تزيغ عن الحق. ويشمل هدى التوراة ونورها بنبي الله محمد ﷺ. وجميع ألفاظ المفسرين في معناهما متقاربة وهذا من خلاف التنوع.

قال مقاتل بن سليمان والشعبي معنى (هدى) أي هدى من الضلالة، ونور من العمى[٤٦]. وقال سعيد بن جبير (هدى) تبياناً[٤٧]. وقال مقاتل بن حيان في معنى (نور) أي نور من العمى[٤٨].

واعتبر بعض المفسرين أن النور هو الهدى، فقد فسَّر السدي الـ (هدى) بأنه: نور[٤٩]. وهذا غير صحيح فإن الله قد وصف التوراة بكلا اللفظين مغايرين، ﴿هُدٗى وَنُورٞ﴾، و﴿نُورٗا وَهُدٗى﴾، وعَطْف أحد اللفظين على الآخر مشعر بالمغايرة بينهما[٥٠]. ومن كمال وصف التوراة أن يكون وصف النور مختلف عن وصفها بالهدى.

والهدى والنور يدخل فيهما الهداية للمعتقد والشريعة، والكشف عن الشبهات والمشكلات، قال ابن عطية: "و«الهدى»: الإرشاد في المعتقد والشرائع، و«النور»: ما يستضاء به من أوامرها ونواهيه". اهـ[٥١] وقال الزمخشري: "فِيها هُدىً يهدى للحق والعدل، وَنُورٌ يبين ما استبهم من الأحكام"[٥٢]. وقال ابن كثير: "مدح التوراة التي أنزلها على عبده ورسوله موسى بن عمران.. أي: أن الله قد أنزل التوراة على موسى بن عمران نوراً وهدى للناس، أي: ليستضاء بها في كشف المشكلات، ويهتدى بها من ظلم الشبهات".اهـ[٥٣] وقال السعدي: "﴿فِيهَا هُدٗى﴾ يهدي إلى الإيمان والحق، ويعصم من الضلالة، ﴿وَنُورٞ﴾ يستضاء به في ظلم الجهل والحيرة والشكوك، والشبهات والشهوات". اهـ[٥٤].

وجاء وصف التوراة بالهدى لبني إسرائيل دون اقترانه بالنور، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: ٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٥٣ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [غافر: ٥٣- ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى

ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [السجدة: ٢٣].

قال الطبري: "وجعلنا الكتاب الذي هو التوراة بيانا للحق، ودليلا لهم على محجة الصواب فيما افترض عليهم، وأمرهم به، ونهاهم عنه". اهـ (٥٥)

وجاء الجمع بين الهدى والرحمة في وصف التوراة: قال تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

قال الطبري: "يعني بقوله: ﴿وَهُدًى﴾، تقويماً لهم على الطريق المستقيم، وبيانًا لهم سُبُل الرشاد لئلا يضلوا. ﴿وَرَحْمَةً﴾، يقول: ورحمة منا بهم ورأفة، لننجيهم من الضلالة وعمى الحيرة". اهـ (٥٦)، وقال السعدي: "أي: يهديهم إلى الخير، ويعرفهم بالشر، في الأصول والفروع". اهـ (٥٧)

رابعاً: التوراة إمام:

جاءت آيات في وصف التوراة بأنها إمام ومضاف لها الرحمة، قال جل وعلا: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةً﴾ [هود: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗ﴾ [الأحقاف: ١٢] فوصف الله التوراة بأنها إمام، فهي إمام لبني إسرائيل يأتمون بها ويهتدون بها، وكل ما كان إماماً يهدي للطريق الصحيح فهو يوصل إلى رحمة الله. قال ابن الجوزي: "إماماً ورحمة؛ إنما سماه إماماً؛ لأنه كان يهتدى به".اهـ (٥٨) وقال ابن عاشور: "حالان ثناء على التوراة بما فيها من تفصيل الشريعة، فهو إمام يهتدى به، ورحمة للناس يعملون بأحكامها، فيرحمهم الله في الدنيا بإقامة العدل، وفي الآخرة بجزاء الاستقامة؛ إذ الإمام ما يؤتم به ويعمل على مثاله". اهـ (٥٩).

خامساً: التوراة بصائر:

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣]. فقد قرن الله في وصف التوراة بأنها بصائر وأضاف لها الرحمة والهدى، وسبب الجمع بينها والله أعلم أن الهداية والرحمة هما نتيجة الصفة الأولى البصائر، فالتوراة مبصرة لهم الحق من الباطل، والهداية من الضلال، فتتحقق الهداية والرحمة بعد بصيرتهم لطريق الحق واتباعه. وعبارات المفسرين قريبة من بعضها البعض. قال ابن جرير:

"ضياء لبني إسرائيل فيما بهم إليه الحاجة من أمر دينهم". اهـ[٦٠]. وقال ابن عطية: "طرائق هادية". اهـ[٦١] وقال الزمخشري: "والبصيرة: نور القلب الذي يستبصر به، كما أن البصر نور العين الذي تبصر به، يريد: آتيناه التوراة أنوارا للقلوب، لأنها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل. وإرشادا، لأنهم كانوا يخبطون في ضلال وَرَحْمَةً لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة".اهـ [٦٢] وقال السعدي: "كتاب الله، الذي أنزله على موسى، فيه بصائر للناس، أي: أمور يبصرون بها ما ينفعهم، وما يضرهم، فتقوم الحجة على العاصي، وينتفع بها المؤمن". اهـ [٦٣] وقال ابن عاشور: "والبصائر: جمع بصيرة، وهي إدراك العقل. سمي بصيرة اشتقاقا من بصر العين، وجعل الكتاب بصائر باعتبار عدة دلائله وكثرة بيناته". اهـ[٦٤].

سادساً: التوراة فرقان:

جاء الوصف في القرآن للتوراة بأنها فرقان في موضعين اثنين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾[البقرة: ٥٣]، وأيضاً قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

اختلف المفسرون في معنى (الفرقان) في هذا الموضع ويمكن إجمالها في ثلاثة أقوال هي: [٦٥]

القول الأول:

المراد به التوراة، إلا أنه ذكرها باسمين. وهو قول جمهور المفسرين، قال به مجاهد، وقتادة، ومقاتل بن سليمان، والفراء، وابن جرير والزجاج[٦٦]. ويدخل في هذا القول قول أبي العالية[٦٧] بأن معنى (الفرقان) فرق به بين الحق والباطل. وهو من تفسيره بأحد معانيه وليس تفسيراً لذاته. ويدخل فيه أيضاً من اعتبر (الفرقان) نعتُ للتوراة، قال ابن جرير: "(الفرقان) الذي ذُكر الله أنه آتاه موسى في هذا الموضع، هو ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الذي فرق به بين الحق والباطل، وهو نعت للتوراة وصفة لها. فيكون تأويل الآية حينئذ: وإذ آتينا موسى التوراة التي كتبناها له في الألواح وفرقنا بها بين الحق والباطل. فيكون "الكتاب" نعتاً للتوراة أقيم مقامها، استغناء به عن ذكر التوراة، ثم عطف عليه بـ "الفرقان"، إذ كان من نعتها". اهـ [٦٨]

القول الثاني:

أراد به انفراق البحر لموسى عليه السلام، وهو قول ابن زيد[٦٩]، وهذا القول بعيد، لأن فرق البحر جاء الامتنان قبل هذه الآية بآيتين، فلا حاجة لتكراره في نفس

الموضع أو قريب منه، ولأن سياق الآية في إنزال الكتاب على موسى، كما أن الآية خُتمت برجاء الهداية لهم، وذلك في الغالب لا يكون إلا بالكتاب المنزل من رب العالمين.

القول الثالث:

أن المراد بـ (الفرقان) القرآن، ومعنى الكلام: لقد آتينا موسى الكتاب، ومحمدا الفرقان، وهو قول قطرب. وضعَّف هذا القول النحاس وابن عطية ومكي بن أبي طالب[٧٠]، قال النحاس: "هذا خطأ في الإعراب والمعنى، أما الإعراب فلأن المعطوف على الشيء مثله، وهذا يخالفه، وأما المعنى فلقوله: {ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان}". اهـ[٧١]

والراجح القول الأول وهو أن الفرقان اسم ثاني للتوراة، وذلك لكون الفرقان جاء معطوفاً على التوراة في سياق الامتنان على بني إسرائيل، وأيضاً لنسبة الفرقان لموسى دون ذكر التوراة، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]. ووجه ابن جرير هذا القول بتوجيه لطيف فقال: "وإنما قلنا هذا التأويل أولى بالآية، وإن كان محتملاً غيره من التأويل؛ لأن الذي قبله من ذكر "الكتاب"، وأن معنى "الفرقان" الفصل...، فإلحاقه إذ كان كذلك، بصفة ما وليه أولى من إلحاقه بصفة ما بعد منه". اهـ فالتوراة هي الفرقان، وداخلها الفرقان، تفرق بين الحق والباطل، وبين الضلال والهدى.

سابعاً: التوراة ضياء:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

الضياء صفة للتوراة، وهو قول مقاتل والسدي وابن سلام والفراء[٧٢]، قال مقاتل بن سليمان في معنى (الضياء): "يعني ونوراً من الضلالة، يعني التوراة". اهـ[٧٣] وقال السدي: "يعني ما في التوراة من البيان".اهـ، وقال يحيى بن سلام: "نوراً".اهـ[٧٤] واستدل أبو حيان بأن الضياء هو وصف للتوراة بالقراءة الشاذة عن ابن عباس بحذف الواو، قال: "والفرقان: التوراة، وهو الضياء، والذكر، أي كتاباً هو فرقان وضياء وذكر. ويدل على هذا المعنى قراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك (ضياء وذكرا) بغير واو في (ضياء)".اهـ[٧٥]

إذن وصف الله التوراة بأنها ضياء وهو وصف يشعر بالمكانة العليِّة لها؛ لأنها

تضيء لهم طريق الحق، وتبصرهم بما يرضي ربه، وتكشف عن ظلمات الضلال والباطل، والزيغ والانحراف، فهي نور وبيان لطريق الحق لاتباعه، ونور وبيان لطريق الباطل لتجنبه، قال ابن عاشور: "والضياء: النور. يستعمل مجازا في الهدى والعلم، وهو استعمال كثير، وهو المراد هنا". اهـ (٧٦)

ثامناً: التوراة كتاب مستبين:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١١٤ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝١١٥ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝١١٦ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ الصافات: [١١٤ ـ ١١٧]، الكتاب المستبين هو التوراة، وهو قول قتادة وابن جرير والسمعاني وابن عطية والزمخشري وابن كثير (٧٧).

وأما معنى المستبين فقد تنوعت عبارات المفسرين في بيانه، فقال ابن جرير: "ويعني بالمستبين: المتبين هدى ما فيه وتفصيله وأحكامه". اهـ (٧٨) وقال الزمخشري: "الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة". اهـ (٧٩) وقال ابن عاشور: "الكتاب المستبين: هو التوراة، والمستبين القوي الوضوح، فالسين والتاء للمبالغة يقال: استبان الشيء إذا ظهر ظهورا شديدا". اهـ (٨٠)

تاسعاً: التوراة سبب الخير والبركة:

أخبر الله تعالى أن التوراة لو أقامها بنو إسرائيل بحقها من غير تحريف ولا تبديل، لكانت سبباً في خير كثير لهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾[المائدة: ٦٦]

والمعنى لو أنهم عملوا بما في التوراة والإنجيل (٨١). وإقامة الشيء جعله قائماً، واستعيرت الإقامة لعدم الإضاعة؛ لأن الشيء المضاع يكون ملقى، ولذلك يقال له: شيء لقى، ولأن الإنسان يكون في حال قيامه أقدر على الأشياء، فلذا قالوا: قامت السوق. فيجوز أن يكون معنى إقامة التوراة والإنجيل إقامة تشريعهما (٨٢).

فلو طبقوها وعملوا بما جاء في كتبهم لجاءتهم نتيجة ذلك وهو الرزق العميم من فوقهم ومن تحتهم، ومعنى ذلك كما قال الماوردي: "فيه تأويلان: أحدهما: أنه أراد التوسعة عليهم كما يقال هو في الخير من قرنه إلى قدمه. والثاني: لأكلوا من فوقهم بإنزال المطر ومن تحت أرجلهم بإنبات الثمر. قاله ابن عباس" (٨٣).

وفي هذه الآية ترتيب النعيم على إقامة التوراة والإنجيل، ومن إقامتهما الإيمان بما دَعيا إليه، من الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن، فلو قاموا بهذه النعمة العظيمة التي

أنزلها ربهم إليهم؛ لأدرَّ اللهُ عليهم الرزق، ولأمطرَ عليهم السماء، وأنبتَ لهم الأرض[٨٤].

المبحث الثاني
دراسة صفات الإنجيل في القرآن الكريم

أولاً: العد الإحصائي لكلمة (الإنجيل) في القرآن الكريم:

وردت كلمة (الإنجيل) في القرآن الكريم، اثنتي عشرة مرة[٨٥]. مرتبة على النحو التالي:

١. ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران:٣].

٢. ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨] .

٣. ﴿{يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥] .

٤. ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦] .

٥. ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾[المائدة: ٤٧] .

٦. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٦] .

٧. ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[المائدة: ٦٨] .

٨. ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[المائدة: ١١٠] .

٩. ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

١٠. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ

يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾[التوبة: ١١١] .

١١. ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] .

١٢. ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [الحديد:٢٧] .

وبالنظر في مواضع ورود الإنجيل نجد أنه ورد في سورة آل عمران ثلاث مرات، وفي المائدة خمس مرات، ومرة في كل من الأعراف والتوبة والفتح والحديد، وهذه السور مدنية ما عدا سورة الأعراف فهي مكية(٨٦). إذن ورود الإنجيل الأغلب في السور المدينة، وهذا واضح سببه أن النصارى كان وجودهم على الساحة الاجتماعية في العهد المدني أكثر من المكي.

وإذا قارنا في ورود الإنجيل والتوراة فنجد أنه تطابق ورودهم في خمس سور هي: آل عمران، والمائدة، والأعراف، والتوبة، والفتح. بينما انفرد ذكر التوراة في الصف والجمعة، بينما انفرد ذكر الإنجيل في الحديد فقط.

ومن تلك الصفات التي أوردها القرآن الكريم عن الإنجيل، ما يلي:

أولًا: الإنجيل منزل من عند الله تعالى:

أخبر الله في محكم التنزيل أن عيسى بن مريم عليه السلام رسول قد أوحى الله عز وجل إليه، فأنزل عليه الإنجيل، مصدقاً لما في التوراة من أحكام ومكملاً لدعوة موسى عليه السلام، وقد جاء النص في القرآن بأن الله سبحانه هو الذي أنزل الإنجيل فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣].

كما ورد النص الصريح في القرآن بنسبة الإنجيل لعيسى عليه السلام: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٤٦]، وقال تعالى أيضاً: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧].

ولذلك فإن أصول المسيحية ترجع إلى الوحي الإلهي "الإنجيل" الذي أوحي به إلى عيسى عليه السلام تصديقاً للتوراة المنزلة على موسى عليه السلام وتكميلاً لشريعة التوراة إذ

الرسولان الكريمان كانت رسالتهما قاصرة على بنى إسرائيل[٨٧].

فالإسلام يقرر أن لعيسى عليه السلام إنجيلاً منزلاً عليه، وليس هو واحدًا من هذه الأناجيل التي يدعيها النصارى اليوم، والتي تعتبر تراجم لحياة المسيح، كتبها الحواريون من تلاميذ عيسى عليه السلام بعد رفعه بمدة، وفي أوقات مختلفة ولغات متباينة ضمنوها مقتطفات من المواعظ والحكم والأمثال، ولا يصح نسبة هذه الأناجيل إلى عيسى عليه السلام باعتبار أنه يعرفها أو يعرف شيئاً عن كتابتها[٨٨].

ورغم التحريف الذي نال الإنجيل، فإن الإيمان بأنه الله أنزل الإنجيل على رسوله عيسى عليه السلام أمر واجب ومن أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

ثانيًا: التصديق للكتب الإلهية:

إن الكتب الإلهية مصدرها واحد وهو رب العالمين، وتختلف في المنزَّل عليهم، ولذا يجب أن يكون كلها مصدقة لبعضها بعض وهذا هو الواجب شرعاً وعقلاً، ولذا جاء النص في القرآن عن الإنجيل أنه مصدق لما بين يديه، فقال تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[آل عمران: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

فالإنجيل مصدق للتوراة التي نزلت قبله، قال ابن جرير في معناه: "يقول: أوحينا إليه ذلك وأنزلناه إليه بتصديق ما كان قبله من كتب الله التي كان أنزلها على كل أمة أنزل إلى نبيها كتاب للعمل بما أنزل إلى نبيهم في ذلك الكتاب، من تحليل ما حلل، وتحريم ما حرم". اهـ[٨٩] وقال مكي بن أبي طالب: "وجعلنا الإنجيل مصدقاً لما قبل عيسى من التوراة وغيرها من الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه قبل عيسى".اهـ[٩٠] وهذا التصديق تصديق لأصل الكتاب ومصدره، وأيضاً يتضمن التصديق لبعض أحكامه أو جلَّها، ولا يشترط الموافقة فيها كلها، فإن شريعة عيسى قد نسخت بعض الأحكام التي قبله، قال ابن كثير في معنى التصديق: "متبعاً لها، غير

مخالف لما فيها، إلا في القليل مما بيَّن لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه، كما قال تعالى إخبارا عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾؛ ولهذا كان المشهور من قولي العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة". اهـ (٩١)

ونجد أن الآية ذكر الله فيها وصف التصديق للإنجيل في موضعين اثنين، وهذا من خصائص وصف الإنجيل، وهو ليس تكرار وإنماء جاء مرة في وصف عيسى أنه مصدق للتوراة، ومرة أن الإنجيل مصدق للتوراة. قال ابن الجوزي: "﴿وَمُصَدِّقًا﴾ ليس هذا تكرار للأول؛ لأن الأول لعيسى، والثاني للإنجيل؛ لأن عيسى كان يدعو إلى التصديق بالتوراة، والإنجيل أنزل وفيه ذكر التصديق بالتوراة.". اهـ (٩٢)

.

قال أبو زهرة: "الإنجيل قد كان بذاته مصدقاً للتوراة من حيث صدق نسبتها إلى الله تعالى قبل تحريفها، وقبل أن ينسوا حظاً منها. ولا تكرار في وصف التصديق، لأن ما ذُكر أولاً كان وصفا لعيسى عليه السلام إذ قال سبحانه: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا﴾.

وأما ما ذكر هنا فهو وصف للإنجيل نفسه، وكأن التصديق من جانب عيسى عليه السلام للتوراة جاء من ناحيتين، من عيسى، ومن الإنجيل ذاته، وتلاقى التصديقين يفيد إقرار أكثر أحكام التوراة الاجتماعية والقانونية، ويفيد أن رسالة الرسل متصلة موصولة، حتى يختمها محمد رسول الله ﷺ، فهو خاتم النبيين، وآخر لبنة في صرح الرسالات الإلهية". اهـ (٩٣)

ثالثًا: الإنجيل هدى ونور:

وصف الله تعالى الإنجيل بأنه هدى ونور في موضع واحد في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦]

وهذا وصف عزيز اشترك فيه الإنجيل مع التوراة، فهو هدى ونور يضيء للسالك الذي أنزل إليهم طريق الهداية، ويبصرهم بطريق الحق الموصل لرضى رب العالمين، وهو "بيان ما جهله الناس من حكم الله في زمانه، وضياء من عمى الجهالة" (٩٤).

قال الفخر الرازي في بيان معنى الهدى والنور: "الإنجيل هدى بمعنى أنه

اشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه، وبراءة الله تعالى عن الصاحبة والولد والمثل والضد، وعلى النبوة وعلى المعاد، فهذا هو المراد بكونه هدى. وأما كونه نوراً، فالمراد به كونه بيانا للأحكام الشرعية ولتفاصيل التكاليف".اهـ[٩٥] وقال ابن كثير: "أي: هدى إلى الحق، ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات".اهـ[٩٦]

قال أبو زهرة: "أي أنه اشتمل على الهدى، وهو الدلالة الحق على تنزيه الله تعالى ووحدانيته، وأنه المستحق للعبادة وحده، وأنه ليس بوالد ولا ولد، وأن عيسى هو ابن مريم وحدها، ونسبه إليها، وليس له لله تعالى نسبة إلا أنه خلقه بكلمة كن فيكون، فهو بهذا المعنى كلمة الله تعالى، وقد ألقاها إلى مريم، وروح القدس وهو جبريل الذي بلغها، وفيه بيان أن عيسى عليه السلام رسول الله تعالى وقد خلت من قبله الرسل.

وهذه الهداية تقرير للحقيقة الثابتة من مبدأ الوجود؛ لأنها تدل على صفات منشئ هذا الوجود.

أما الخاصة الثانية: فهي أنه مشتمل على نور مرشد موجه هاد، فإذا كانت الخاصة الأولى مقررة لأمر ثابت قد وقع، فالخاصة الثانية مثبتة لأمر آخر يتعلق بالمستقبل، وهو أنه يضيء وينير لتمييز الحق من الباطل، وبين ما جاءت به رسالة المسيح من دعوة البشر إلى الخير وإلى صراط مستقيم.

فالإنجيل بإضافة هذه الخاصة إلى سابقتها يكون مشتملا على أمرين: أولهما: تقرير للحقيقة الثابتة الخالدة، وهي وحدانية الله تعالى في الإنشاء والتكوين، والذات والعبادة. وثانيهما: أنه مرشد إلى مكارم الأخلاق ومنير العقول لإدراك المستقبل، ويدخل في ذلك بشارته بالنبي ﷺ ".اهـ[٩٧].

وتكرر وصف الإنجيل بالهدى في الآية مرتين ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ ... ﴿وَهُدًى﴾ [المائدة: ٤٦] .

يقول أبو زهرة في الحكمة من ذلك: "وهي من صفاته الذاتية، وسبب وصفه بهذا الوصف بعد ذكر أنه قد اشتمل على هدى ونور هو استمرار الهدى له، وللإشارة إلى أنه منزل من عند الله تعالى، وهو بهذا الوصف يكون فيه دلالة ذاتية على الحق، ولأنه بشارة بنبي يرسل من بعد عيسى اسمه أحمد، وكان الهدى في هذا المقام وصفا ذاتياً؛ لأنه مأخوذ من اسمه؛ إذ إن الإنجيل معناه البشارة، ولعله سمى إنجيلا، لأنه الكتاب المنزل الذي كان فيه البشارة المباشرة بمحمد ﷺ بعبارات إن لم تكن صريحة فهي واضحة كالصريحة". اهـ[٩٨] .

وجاء الوصف للإنجيل –مع التوراة– بالهدى منفرداً دون النور، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣ – ٤] فقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ الناس هنا هم بنو إسرائيل، ويعود الهدى هنا على التوراة والإنجيل، فهما هداية للناس في زمانهما، وهذا قول قتادة، وابن عطية، وابن كثير في تفسيره[٩٩]. ويحتمل أن المراد أنه شامل لكل ما سبق ذكره من كتب في هذا السياق، فيكون الوصف شاملاً للقرآن والتوراة والإنجيل. وهذا لا يتعارض مع القول الأول؛ بل هو أشمل ويدخل فيه الأول.

رابعًا: الإنجيل موعظة:

من خصائص الإنجيل أنه موعظة للمتقين كما قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦]. ومعناها كما قال الطبري: "وموعظة"، لهم يقول: "زجراً لهم عما يكرهه الله إلى ما يحبه من الأعمال، وتنبيها لهم عليه"[١٠٠]. فالإنجيل وما اشتمل عليه من مواعظ يزجر المنزل عليهم عن ارتكاب المحارم والآثام[١٠١].

والموعظة في حقيقتها "الكلام الذي يلين القلب ويزجر عن فعل المنهيات"[١٠٢].

وقد اشتمل الإنجيل على المواعظ والنصائح لمن أنزل عليهم ولذا وُصف بكون موعظة، قال الفخر الرازي: "كونه موعظة؛ فلاشتمال الإنجيل على النصائح والمواعظ والزواجر البليغة المتأكدة". اهـ[١٠٣]. وجاء تخصيص الموعظة للمتقين؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بها، فهو موعظة لمن اتقى وخاف وعيده وعقابه[١٠٤].

والإنجيل كان موعظة لبني إسرائيل "ومن كان على شاكلتهم من الماديين الذين أركستهم المادة واستولت على قلوبهم إلى الحياة الروحية، والتهذيب النفسي، وجعل الروح هي المسيطرة من غير ترك لحظوظ الدنيا المباحة التي لا تستغرق النفس. ومن أجل ذلك وصف بأنه موعظة، ولكن لا يستفيد منه إلا الذين امتلأت نفوسهم بالخوف ورجاء ما عند الله، وهم طالبو الحق المهتدون؛ لأنهم هم الذين يستفيدون من العلم الذي يلقى، فالنفوس أقسام ثلاثة: قسم يطلب الحق، ويثمر فيه بيانه، وقسم يجمد على ما عنده، ويكون صلدا لَا ينفذ العلم إلى قلبه، إذ تحول بينه وبينه غشاوة من الباطل فهو أغلف، وقسم متردد حائر، تسيره الأجواء التي تحكمه وتسيطر

عليه، ولا شك أن الذي يستفيد من المواعظ هو طالبها المتقبل لها، الذي تتشبع نفسه منها، وأولئك هم المتقون، وأما القسم الثالث، فإنه ترجى له الهداية رجاء غير محقق، وإن مثل العلم النافع لمثل الغيث لا ينتفع منه إلا الأرض الطيبة التي تخرج نباتها بإذن ربها، والعلم لا ينتفع به إلا القلوب الطاهرة التي لم ترنقها أغراض الدنيا وأهواؤها". اهـ (١٠٥)

خامساً: الإنجيل حكم الله تعالى بين بني إسرائيل:

وصف الله الإنجيل في القرآن الكريم بأن فيه حكم الله لمن أُنزل عليهم، وأمرهم بتحكيمه بينهم واتباع شريعته، فقال الله عز وجل: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، وهذا إخبار عما فرض عليهم في ذلك الوقت من الحكم بما تضمنه الإنجيل (١٠٦).

قال البيضاوي: "والآية تدل على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام، وأن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام، وأنه كان مستقلاً بالشرع". اهـ (١٠٧)

فالإنجيل قد نَسخ بعض الشرائع التي نزل بها موسى عليه السلام وسبق معنا قول ابن كثير: "المشهور من قولي العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة".اهـ (١٠٨) ولهذا جاء في القرآن عن الإنجيل وعلى لسان عيسى عليه السلام أنه حلَّلَ لهم بعض ما حُرِّم عليهم كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾... ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن﴾... ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْۖ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٤٥ – ٥٠].

واختلف القراءة في قول الله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾:

قرأ الجمهور بلام الأمر الساكنة (ولْيَحْكُمْ)، وقرأ حمزة بكسر اللام ونصب الميم (ولِيَحْكُمَ) (١٠٩).

وتوجيه القراءة: على قراءة السكون فهو أمر بتحكيم الإنجيل، أي أمرناهم بتحكيمه. وقراءة السكون بمعنى (كي)، فيكون المراد كي يحكموا بالإنجيل، ومفاد القراءتين واحد.

قال ابن جرير في توجيه هاتين القراءتين: "فقرأته قراءة الحجاز والبصرة

وبعض الكوفيين: "ولْيحكم" بتسكين "اللام"، على وجه الأمر من الله لأهل الإنجيل: أن يحكموا بما أنزل الله فيه من أحكامه. وكأن من قرأ ذلك كذلك، أراد: وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة، وأمرنا أهله أن يحكموا بما أنزل الله فيه؛ فيكون في الكلام محذوف، ترك استغناء بما ذكر عما حذف.

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة: (ولِيحكم أهل الإنجيل) بكسر "اللام"، من "ليحكم"، بمعنى: كي يحكم أهل الإنجيل. وكأن معنى من قرأ ذلك كذلك: وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة، كي يحكم أهله بما فيه من حكم الله. وذلك أن الله تعالى لم ينزل كتاباً على نبي من أنبيائه إلا ليعمل بما فيه أهلُه الذين أُمروا بالعمل بما فيه، ولم ينزله عليهم إلا وقد أمرهم بالعمل بما فيه، فللعمل بما فيه أنزله، وأمر بالعمل بما فيه أنزله. فكذلك الإنجيل، إذ كان من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه، فللعمل بما فيه أنزله على عيسى، وأمر بالعمل به أهله أنزله عليه. فسواء قرئ على وجه الأمر بتسكين "اللام"، أو قرئ على وجه الخبر بكسرها، لاتفاق معنييهما.

وإذ كان الأمر في ذلك على ما بينا، فتأويل الكلام، إذا قرئ بكسر "اللام" من "ليحكم": وآتينا عيسى ابن مريم الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين، وكي يحكم أهل الإنجيل بما أنزلنا فيه، فبدلوا حكمه وخالفوه، فضلوا بخلافهم إياه إذ لم يحكموا بما أنزل الله فيه وخالفوه="فأولئك هم الفاسقون"، يعني: الخارجين عن أمر الله فيه، المخالفين له فيما أمرهم ونهاهم في كتابه.

فأما إذا قرئ بتسكين "اللام"، فتأويله: وآتينا عيسى ابن مريم الإنجيل، فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة، وأمرنا أهله أن يحكموا بما أنزلنا فيه، فلم يطيعونا في أمرنا إياهم بما أمرناهم به فيه، ولكنهم خالفوا أمرنا، فالذين خالفوا أمرنا الذي أمرناهم به فيه، هم الفاسقون". اهـ[١١٠]

وهنا مسألة مهمة، عندما أمر الله بتحكيم الإنجيل كيف يستقيم هذا مع نزول القرآن وهو الواجب اتباعه؟.

والجواب: أن الأمر بتحكيم الإنجيل كان لأهله الذين أُنزل عليهم، وربما يراد منه -مع ما سبق- مخاطبة النصارى في عهد الرسالة المحمدية لتحكيم الإنجيل والإيمان بما ورد فيه من البشرة بمحمد ﷺ[١١١].

سادساً: الإنجيل سبب الخير والبركة:

أخبر الله تعالى أن الإنجيل لو أقامه النصارى من غير تحريف ولا تبديل وقت نزوله عليهم، لكان سبباً في خير كثير لهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦] .

وقد سبق التعليق على هذا في موضعه من صفات التوراة. وهو من الصفات المشتركة بين التوراة والإنجيل.

المبحث الثالث
دراسة الصفات المشتركة مع القرآن
والتي انفردت عن القرآن
المطلب الأول
دراسة الصفات المشتركة بين الكتب الإلهية [التوراة والإنجيل والقرآن]

هناك العديد من الصفات والخصائص التي تجمع بين القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، ذلك أن مصدرها واحد، وغايتها واحدة، فمنهاجها الدعوة إلى توحيد الله، وإنارة الطريق أمام البشر، وغايتها إصلاح البشرية، ووحدة الأمة، واستمرار الأصالة الإيمانية، دون تعثر ولا انحراف، ولا تغير أو تبدل، وحينئذ تلتقي مسيرة الإيمان في درب واحد، ذروتها الإخلاص لرب العالمين، وجذع شجرتها الإقرار بوجود الله ووحدانيته، وأغصانها الأعمال الصالحة المتميزة بخشية الله، وثمارها إسعاد الناس في الدنيا والآخرة(١١٢). كما أنها تتفق في وحدة الغاية، فالكتب السماوية غايتها واحدة، فهي كلها تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى دين الإسلام؛ فالإسلام هو دين جميع الرسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وهذه بعض من الصفات التي يشترك فيها القرآن الكريم مع التوراة والإنجيل:

أولًا: وحدة المصدر:

تتفق الكتب الإلهية القرآن في أن مصدرها واحد؛ فهي منزلة من عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ١- ٣] فالله الذي أنزل التوراة والإنجيل والقرآن وباقي الكتب الإلهية وهذا من المقطع به، فلم يكن لرسل الله أن يأتي بكتب من لدن أنفسهم، فهم رسل الله ومنه يأخذون الوحي.

قال ابن كثير: "وقد علم بالضرورة لذوي الألباب أن الله لم ينزل كتابا من السماء فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ، وهو القرآن، وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله على موسى بن عمران عليه السلام، وهو التوراة... والإنجيل إنما نزل متمماً للتوراة ومحلاً لبعض ما حُرِّم على بني إسرائيل". اهـ(١١٣)

ثانيًا: تصديق الكتب السماوية بعضها البعض:

من الخصائص المتفقة بين الإنجيل والقرآن أنها مصدقة لبضعها البعض، فقال تعالى عن الإنجيل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [المائدة: ٤٦]، فالإنجيل جاء مصدقاً لما سبقه من كتاب رب العالمين وهو التوراة.

وقال تعالى عن القرآن: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال عنه: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يونس: ٣٧].

قال ابن جرير: "يقول: أنزلناه بتصديق ما قبله من كتب الله التي أنزلها إلى أنبيائه" اهـ(١١٤).

فالقرآن مصدق لما أنزله قبله من كتب من رب العالمين سواء التوراة أو الإنجيل. ولم يرد أن التوراة مصدقة لما قبلها، ولعل السبب في ذلك لكون الله لم يذكر كتاباً أنزله قبل موسى عليه السلام على أي نبي من أنبيائه. وإنْ كان من المتفق عليه أن من خصائص كتب رب العالمين تصدق بعضها بعض، وذلك لا شك فيه لكونه مصدرها واحد. ولا يعني تصديق بعضها البقاء على كل تفصيلها وأحكامها؛ بل المراد الإيمان بكونها كتب إلهية ومنزلة من رب العالمين، وما تشتمله من أحكام لم تنسخ أو العقائد العامة كتوحيد الله فهو ثابت في كل الشرائع.

واستقل القرآن عن باقي الكتب التي سبقته بأنه مهيمن عليها، وذلك لأنه الكتاب الخالد وأخر الكتب المنزلة من رب العالمين واشتمل على الشريعة التي نسخت الشرائع التي قبله، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

الكتاب هنا هو القرآن، كما نص ابن جرير(١١٥).

وأصل "الهيمنة"، الحفظ والارتقاب، وعبارات المفسرين في معنى (مهيمناً)

قريبة من بعضها، فقيل: حافظ وشاهد وأمين وحاكم على القرآن[١١٦].

قال ابن كثير بعد أن استعرض أقوال المفسرين: " وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم "المهيمن" يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدا وأمينا وحاكما عليها كلها. وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة". اهـ[١١٧]

ثالثًا: تتفق الكتب الثلاثة في كونها هدى ونور:

من الصفات التي اتفق فيها الكتب السماوية الثلاثة، أنها هداية ونور، قال تعالى عن التوراة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾[الأنعام: ٩١].

وقال تعالى في وصف الإنجيل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦].

وقال تعالى في وصف القرآن بأنه هدى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقال جل وعز: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١ – ٢].

وقال تعالى في وصف القرآن بأنه نور:﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾... ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقل جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال سبحانه: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾[التغابن: ٨].

وقال تعالى في الجمع بين صفتي الهدى والنور للقرآن: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]

فالهدى والنور من الخصائص الذاتية للكتب الإلهية، فهي من رب العالمين فمن الضرورة أن تكون هداية للناس وتكون نوراً تبصرهم بالطريق الموصل لرب العالمين. قال السعدي: "أي: أنزل الله القرآن، والتوراة، والإنجيل، هدى للناس من الضلال، فمن قبل هدى الله فهو المهتدي، ومن لم يقبل ذلك بقي على ضلاله". اهـ (١١٨)

رابعًا: صفة وجوب التحاكم لها:

تتفق الكتب الثلاثة في أن كلاً منها نزل الأمر الإلهي باتخاذها حكماً وشريعة بين الناس، مع فارق أن التوراة والإنجيل كانا قاصرين على بني إسرائيل وقت نزولهما، أما القرآن فهو حكم بين جميع الأمم منذ نزوله حتى قيام الساعة.

قال تعالى في شأن التوراة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال سبحانه في شأن الإنجيل: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وقال تعالى في شأن القرآن: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

ونلاحظ أن الأمر بتحكيم هذه الكتب الربانية جاءت في سياق واحد في سورة المائدة، فقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ الآية، "مناسبة هذه الآية لما قبلها؛ أن الله سبحانه وتعالى لما بين إنزال التوراة ثم الإنجيل علي بني إسرائيل، وذكر ما أودعه فيهما من الهدى والنور، وما ألزمهم به من إقامتهما، وما أوعدهم به من العقاب على ترك الحكم بهما.. ذكر هنا إنزاله القرآن على خاتم الأنبياء محمد ﷺ، ومنزلته من الكتب قبله، وأنَّ الحكمة اقتضت تعدد الشرائع والمناهج لهداية البشر" (١١٩).

قال النسفي: "ذكر الله إنزال التوراة على موسى عليه السلام، وإنزال الإنجيل على عيسى عليه السلام، ثم إنزال القرآن على محمد ﷺ وبين أنه ليس للسماع فحسب بل للحكم به، فقال في الأول: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾. وفي الثاني: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ﴾. وفي الثالث: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾" اهـ (١٢٠).

وجاءت آيات أخرى تثبت وجوب تحكيم القرآن ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[النساء: ١٠٥].

والكتاب هو القرآن كما نص عليه الطبري[١٢١]، وجاء الأمر هنا بوجوب تحكيم القرآن، ويحتمل أن المراد بالآية تحكيم الوحي والاجتهاد جميعا[١٢٢].

ومن المهم هنا توضيح أن القرآن والشريعة الإسلامية قد نسخت ما قبلها من الشرائع، وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يثبت نسخه[١٢٣].

ولا يجوز للمسلمين الآن التحاكم إلى الإنجيل، قال ابن حزم: "لا خلاف بين اثنين من المسلمين... أن من حكم بحكم الإنجيل مما لم يأتِ بالنص عليه وحي في شريعة الإسلام فإنه كافر مشرك خارج عن الإسلام"[١٢٤].

وقال ابن القيم: "قالوا: وقد جاء القرآن وصحَّ الإجماع بأنَّ دين الإسلام نَسَخَ كل دين كان قبله، وأنَّ من التزم ما جاءت به التوراة والإنجيل ولم يتبع القرآن فإنَّه كافر، وقد أبطل الله كلَّ شريعة كانت في التوراة والإنجيل وسائر الملل، وافترض على الجن والإنس شرائع الإسلام؛ فلا حرام إلا ما حرمه الإسلام، ولا فرض إلا ما أوجبه الإسلام"[١٢٥].

وقال ابن كثير: "من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد خاتم الأنبياء ﷺ، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كَفر"[١٢٦].

خامساً: صفة تصديق الكتب الإلهية:

نزل القرآن الكريم مصدقاً للكتب الإلهية التي سبقته، وهذا حال التوراة والإنجيل، فهي كتب مصدقة لبضعها، وبالضرورة تصدق بعضها بعضاً؛ لاتحادها في المصدر.

قال تعالى عن الإنجيل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وقال سبحانه: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

وقال جل وعلا عن القرآن: ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يونس: ٣٧]، والقول الراجح في المراد بالتصديق في هذه الآية تصديق الكتاب المتقدمة عن القرآن كالتوراة والإنجيل، وهو قول ابن عباس[١٢٧]، وقال ابن جرير: "أي: يقول تعالى ذكره: ولكنه من عند الله أنزله مصدقا لما بين يديه، أي لما قبله من الكتب التي أنزلت على أنبياء الله، كالتوراة والإنجيل

وغيرهما من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه".اهـ[١٢٨] وقال ابن عاشور: "أي: مبينا للصادق منها ومييزاً له عما زيد فيها وأسيء من تأويلها". اهـ[١٢٩] وقال الأمين الشنقيطي: "أشار إلى أن تصديقه للكتب السماوية المنزلة قبله، وتفصيله للعقائد، والحلال، والحرام، ونحو ذلك مما لا شك أنه من الله جل وعلا دليل على أنه غير مفترى، وأنه لا ريب في كونه من رب العالمين، وبين هذا في مواضع أخر، كقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١٣٠]". اهـ

وقال تعالى أيضاً عن تصديق القرآن للكتب التي سبقته: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩- ٣٠]، قال مكي بن أبي طالب: "أي: قالت الجن الذين استمعوا القرآن لقومهم إذ رجعوا إليهم يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه، أي: مصدقاً للتوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله يهدي إلى الحق؛ أي يرشد مستمعه وقابله إلى الحق وإلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه وهو الإسلام". اهـ[١٣١]

فالقرآن العظيم "مصدِّق ومؤكد ما تقدمه من الكتب الإلهية المنزلة على الرسل، كإبراهيم وموسى وعيسى وداود من الصحف والتوراة والإنجيل والزبور، وموافق لها في أصول الدعوة إلى توحيد الله، والإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر، وتقرير صالح الأعمال، وبيان فضائل الأخلاق، وهو أيضا مهيمن عليها، ومبيّن ما لها وما عليها"[١٣٢].ولم يرد في صفة التوراة التصديق لما قبلها للكتب؛ وسر ذلك -والله أعلم- أنه لم يرد في القرآن تصريح بما قبل التوراة من كتاب إلهي، فلم تأت مناسبة التصديق لذلك، وإن كان التصديق من مستلزمات الكتب الإلهية.

سادساً: صفة التفصيل للأحكام:

اتفق وصف القرآن والتوراة بأنهما نزلا بتفصيل الشرائع، فالتوراة قد أنزلها الله على موسى عليه السلام وفيها تفصيلاً للشريعة والأحكام -كما سبق معنا- قال تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

وقال تعالى عن القرآن المجيد: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ [يونس: ٣٧]، قال ابن جرير:

"﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يقول: وتبيان الكتاب الذي كتبه الله على أمة محمد ﷺ، وفرائضه التي فرضها عليهم في السابق من علمه".اهـ(١٣٣) وقال ابن الجوزي: "﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: وبيان الكتاب الذي كتبه الله على أمة محمد والفرائض التي فرضها عليهم. ". اهـ(١٣٤).

وتفصيل القرآن لا يرد على ما استجد من أحكام؛ بل يشمل ما وقع فيه من نسخ لأحكام في الكتب السابقة، قال ابن عاشور: "ومعنى كون القرآن تفصيلاً لها أنه مبين لما جاء مجملاً في الكتب السالفة، وناسخ لما لا مصلحة للناس في دوام حكمه، ودافع للمتشابهات التي ضل بها أهل الكتاب، فكل ذلك داخل في معنى التفصيل"اهـ(١٣٥)

فالقرآن "بيان ما كتبه الله تعالى على خلقه من فرائض ونظم وأحكام فيها صلاح العباد في الدنيا والآخرة من صلاح معاشهم وتنظيم حياتهم وتكوين مجتمع فاضل يكون الخير فيه شائعا ظاهرا، وتكون الرذيلة مختفية مغمورة"(١٣٦).

ولم يرد في القرآن وصف التفصيل في الإنجيل، لأن غالبه مواعظ؛ بينما كانت التوراة فيها الشرائع والأحكام.

المطلب الثاني: دراسة الصفات التي انفردت بها التوراة والإنجيل

يختلف القرآن الكريم عن التوراة والإنجيل في أمور، منها:

أولًا: اقتصار رسالة التوراة والإنجيل على بني إسرائيل، وعمومية رسالة القرآن الكريم:

اقتضت حكمة الله أن تكون الكتب السابقة لآجال معينة ولأوقات محددة، ووكل حفظها إلى الذين استحفظوا عليها من البشر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

أما القرآن الكريم، فقد أنزله الله لكل الأجيال من الأمم في كل الأوطان إلى يوم القيامة، وتولى حفظه بنفسه؛ لأن وظيفة هذا الكتاب لا تنتهي إلا بنهاية البشر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وعن عمومية القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام: ١٩].

فكون القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية، يعني أن القرآن حجة قائمة على

كل من بلغه من الإنس والجن في كل زمان وفي كل مكان؛ ولهذا قال مقاتل بن سليمان: (ومن بلغ القرآن من الجن والإنس فهو نذير لهم، يعني القرآن إلى يوم القيامة)[١٣٧].

وقال أبو السعود في تفسيره: "أي: لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والأحمر ومن الثقلين، أو لأنذركم به أيها الموجودون ومن سيوجد إلى يوم القيامة، وهو دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله، ومن سيوجد بعد إلى يوم القيامة"[١٣٨].

ثانيًا: ثبوت تحريف التوراة والإنجيل، وحفظ القرآن الكريم عنه:

وردت عدة آيات تؤكد تحريف التوراة والإنجيل، حتى غدت هذه الكتب الموجودة حالياً غير المنزلة على موسى وعيسى عليهما السلام، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

قال السدي في تفسير الآية: "هي التوراة حرفوها". وقال ابن زيد: "التوراة التي أنزلها عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراماً، والحرام فيها حلالاً، والحق فيها باطلاً، والباطل فيها حقاً"[١٣٩].

وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]. فدلت الآيات على تحريف اليهود والنصارى لكتب الله المنزلة عليهم.

أما القرآن العظيم فهو سليم مما طرأ على الكتب السابقة من التحريف والتبديل، وهو محفوظ من كل ذلك بحفظ الله له وصيانته إياه كما أخبر الله عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال الطبري في تفسير الآية: "قال وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه"[١٤٠].

كما أخبر الله في آيات أخرى عن تمام إحكامه للقرآن وتفصيله وتنزيهه من كل باطل، فقال عز من قائل: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. قال السعدي: "أي: لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في

تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفل من أنزله بحفظه" اهـ[١٤١].

ملحق: جدول صفات التوراة والإنجيل

صفات التوراة	صفات الإنجيل
منزلة من عند الله تعالى	منزل من عند الله تعالى
مُفصِّلة للأحكام الشرعية	التصديق للكتب الإلهية
هدى ونور ورحمة	هدى ونور
التوراة إمام	الإنجيل موعظة
التوراة بصائر	حكم الله تعالى بين بني إسرائيل
التوراة فرقان	الإنجيل سبب الخير والبركة
التوراة ضياء	
التوراة كتاب مستبين	
التوراة سبب الخير والبركة	

الخاتمة:

بحمد الله وتوفيقه وبعد تجوال في هذه الوقفات مع الكتب المنزلة من رب العالمين، نقف مع بعض النتائج والتوصيات، وأبرز النتائج ما يلي:

١- وردت كلمة (التوراة) ومشتقاتها في القرآن الكريم، ثماني عشرة مرة.

٢- يطلق لفظ التوراة على الشريعة التي أُنزلت على موسى عليه السلام.

٣- وردت كلمة (الإنجيل) في القرآن الكريم، اثنتي عشرة مرة.

٤- الإنجيل يطلق على الكتاب المنزل على عيسى عليه السلام.

٥- لم يرد إسناد التوراة لموسى عليه السلام في القرآن وإنما أسند إليه الكتاب، بينما جاء في القرآن الكريم إسناد الإنجيل لعيسى عليه السلام.

٦- الكتب التي أنزلها الله على موسى أشمل من التوراة، ولذا كان التصريح في القرآن بنسبة الكتاب لموسى عليه السلام ليشمل التوراة وغيره.

٧- كان الأغلب ورود التوراة والإنجيل في السور المدنية، وذلك لأن ظهور اليهود والنصارى في العهد المدني أكثر من العهد المكي.

٨- اشترك ذكر الإنجيل والتوراة في خمس سور هي: آل عمران، والمائدة، والأعراف، والتوبة، والفتح، بينما انفرد ذكر التوراة في سورتي الصف والجمعة، وانفرد ذكر الإنجيل في الحديد فقط.

٩- احتوى القرآن على صفات متعددة للتوراة والإنجيل وهذا دليل على مكانتيهما في

القرآن الكريم ولدى المسلمين.

١٠- اشتركت التوراة والإنجيل في صفات، وانفرد أحدهما عن الآخر ببعض.

١١- من صفات التوراة أنها جاءت مفصلة لكل شيء من أحكام الشريعة.

١٢- الإنجيل نزل مصدقا للتوراة وموافقاً لها في كثير من الأحكام، وجاء فيه أيضاً بعض الأحكام التي حللت بعض ما حُرِّم على بني إسرائيل.

١٣- تتفق الكتب السماوية في أن مصدرها واحد؛ فهي منزلة من عند الله تعالى.

١٤- تتفق الكتب الثلاثة في أن كلا منها كان حكما بين الناس، مع فارق أن التوراة والإنجيل كانا قاصرين على بني إسرائيل، أما القرآن فهو حكم بين جميع الأمم.

١٥- تنفرد التوراة والإنجيل عن القرآن بأن رسالتهما كانتا قاصرتين على بني إسرائيل، بخلاف القرآن الكريم الذي جاءت رسالته عامة لجميع الأمم.

١٦- تنفرد التوراة والإنجيل في أن حفظهما مكفول إلى الرهبان والأحبار، بخلاف القرآن فقد تكفل الله تعالى بحفظه.

التوصيات:

١- الاهتمام بإظهار مكانة التوراة والإنجيل في الشريعة الإسلامية لغير المسلمين.

٢- التنقيب عن صفات التوراة والإنجيل في كتب اليهود والنصارى.

٣- ترجمة المقالات التي تظهر مكانة موسى والتوراة وعيسى وأمه والإنجيل في الشريعة الإسلامية ونشرها بعدة لغات.

٤- دفع الشبهات الواردة عن القرآن مما يزعمه بعضهم من ازدراء الكتب الإلهية التي سبقته.

هوامش البحث:

(١) انظر الكتاب المقدس دراسة تاريخية تحليلية نقدية لمختار خضر ص (٣٦).

(٢) تفسيره (٧٠/٢).

(٣) التحرير والتنوير (١٤٨/٣).

(٤) انظر معاني القرآن للفراء (٣٧/١).

(٥) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار ص(٣١، ١١١ – ١١٢).

(٦) انظر الكتاب المقدس دراسة تاريخية تحليلية نقدية لمختار خضر ص (٣٦).

(٧) انظر في ذلك: إظهار الحق للعلامة الهندي ص (٢٠٥)، والكتاب المقدس دراسة تاريخية تحليلية نقدية لمختار خضر ص (٢٠٧).

(٨) انظر: أضواء على الصهيونية، مصطفى السعدني ص(٣١).

(٩) انظر: جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس، لرمضان مصطفى الدسوقي ص (٢٧).

(١٠) انظر الكتاب المقدس دراسة تاريخية تحليلية نقدية لمختار خضر ص (٢٧١).
(١١) التحرير والتنوير(١٤٩/٣).
(١٢) انظر: الأسفار المقدسة، لصابر طعيمة ص(٢٥٣).
(١٣) انظر الكتاب المقدس دراسة تاريخية تحليلية نقدية لمختار خضر ص (٢٧٢).
(١٤) انظر الكتاب المقدس دراسة تاريخية تحليلية نقدية لمختار خضر ص (٢٧٨).
(١٥) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة. الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري والدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، الرياض،دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع،١٤٢٦هـ، ص٧٢-٧٣.
(١٦) انظر في ذلك محاضرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة ص(٤٠)، والكتاب المقدس خضر ص (٤٢٩).
(١٧) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم(٢٠٠/١) حرف (التاء).
(١٨) انظر المحرر الوجيز (٣٠٥/٢)، (٣٨٥/٣)، (١٩١/٤)، (٦٤١/٤)، (٤٥/٩)، (٥٠٩/٩)، (٥٢١/٩).
(١٩) ورد في القرآن نسبة الكتاب لموسى عليه السلام في تسعة مواضع، ونسبة الألواح له في ثلاث مرات، ونسبة الصحف في موضعين اثنين.
(٢٠) قال الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه العقيدة الطحاوية (٥٣٠/١-٥٣١): "أعطى موسى عليه السلام صُحُفاً وأعطاه أيضاً التوراة، فهل هما واحد أم هما مختلفان؟ خلاف: القول الأول: أنهما واحد؛ لأن صحف موسى هي التوراة وهي التي كتبها الله عز وجل بيده. والقول الثاني: أن الصحف غير الكتب، وهذا القول هو الصحيح وهي أن كتب الله عز وجل غير الصحف. ويدل على هذا الفرق أن الله عز وجل أعطى موسى صُحُفاً ث و كَتَبَ له ذلك في الألواح كما قال قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ الشيطان الرجيم ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وأوحى الله عز وجل إليه بالتوراة أيضاً. فقوله: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٩]: صحف إبراهيم: ذَكَرَ الله ما فيها في سورة النجم.. وفي صحف موسى: ما كتبه الله عز وجل له. وأما التوراة: فهي وحْيٌ وكتَابٌ مستقل غير صحف موسى ث أوحاها الله عز وجل إليه". اهـ
(٢١) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٤٧٣٦)، ومسلم في صحيحه حديث رقم (٢٦٥٢). واللفظ للبخاري.
(٢٢) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٦٦١٤)، ومسلم في صحيحه حديث رقم (٢٦٥٢). واللفظ للبخاري.
(٢٣) أخرجه عن قتادة ابنُ أبي حاتم في تفسير (١٠٩/١). وقول مقاتل هو في تفسيره (١٠٧/١).
(٢٤) انظر معاني القرآن للفراء (٣٧/١)، تفسير ابن جرير (٧٠/٢)، تفسير السمرقندي (٥٢/١)، تفسير السمعاني(٨٠/١)، وزاد المسير (٦٥/١)، وتفسير ابن كثير (٢٦١/١).
(٢٥) المحرر الوجيز (٤٠٢/١)، وانظر فتح القدير (١٠١/١).
(٢٦) زهرة التفاسير (٢١٩٩/٤).
(٢٧) تفسيره (٣١٢/٩).
(٢٨) انظر: البحر المحيط (٥٠٧/١).
(٢٩) رواه أبو داود في سننه، ٥٥٩/٢، رقم (٤٤٤٩)، كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٣٠) تيسير الكريم الرحمن ص(٢٨٠).

(٣١) التحرير والتنوير (١٧٦/٨).
(٣٢) أخرجه عنه ابن جرير في تفسيره (٢٣٧/١٢).
(٣٣) تفسيره (٢٣٧/١٢).
(٣٤) زاد المسير (٩٤/٢).
(٣٥) تفسيره (٣٦٨/٣).
(٣٦) انظر زاد المسير (١٥٣/٢)، والتحرير والتنوير (٩٧/٩).
(٣٧) التفسير الوسيط، للدكتور وهبة الزحيلي (٦٢٨/١).
(٣٨) تفسير ابن جرير (٧/٦).
(٣٩) أخرجه عنه ابن جرير في تفسيره (٧/٦).
(٤٠) أخرجه عنه ابن جرير في تفسيره (١٠/٦-١١). وذكر أنه هو معنى قول ابن عباس ڤ.
(٤١) تيسير الكريم الرحمن ص (١٣٨)
(٤٢) تفسير ابن جرير (٣٣٦/١٠).
(٤٣) انظر زاد المسير (٥٥٠/١).
(٤٤) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (١٥٩/١).
(٤٥) انظر تفسير مقاتل بن سليمان (٤٧٩/١)
(٤٦) أخرجه عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٣٨/٤-١١٣٩)، (١٣٤٣/٤).
(٤٧) أخرجه عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٤٣/٤).
(٤٨) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٤٢/٤)
(٤٩) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٤٣/٤)
(٥٠) التحرير والتنوير، لابن عاشور(٢٣٣/١٨).
(٥١) المحرر الوجيز (١٩٥/٢).
(٥٢) الكشاف (٦٣٦/١).
(٥٣) تفسيره (٢٩٣/٣، ٢٩٤).
(٥٤) تيسير الكريم الرحمن ص (٢٣٢).
(٥٥) تفسيره (٣٥٢/١٧).
(٥٦) تفسيره (٢٣٢/١٧).
(٥٧) تفسيره ص(٢٨٠).
(٥٨) زاد المسير (٣٦٤/٢).
(٥٩) التحرير والتنوير (٢٨/١٢).
(٦٠) تفسيره (٥٨٣/١٩).
(٦١) المحرر الوجيز (٢٨٩/٤).
(٦٢) الكشاف (٤١٦/٣-٤١٧).
(٦٣) تفسيره ص (٦١٦).
(٦٤) التحرير والتنوير (١٢٩/٢٠).
(٦٥) انظر تفسير السمعاني (٨٠/١)، وزاد المسير (٦٥/١).
(٦٦) أخرجه عن مجاهد وقتادة ابن جرير في تفسيره (٧١/٢)، (٢٨٨/١٦)،. وانظر تفسير مقاتل بن سليمان (٨٢/٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣٦/١)، وتفسير ابن جرير (٧١/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١٣٤/١)، وتفسير البغوي (٩٥/١)، والبسيط للواحدي (٥٢٥/٢).

(٦٧) أخرجه عنه ابن جرير في تفسيره (٧١/٢).
(٦٨) تفسيره (٧١/٢).
(٦٩) أخرجه عنه ابن جرير في تفسيره (٧٢/٢).
(٧٠) انظر المحرر الوجيز (١٤٤/١)، والهداية (٢٦٩/١).
(٧١) إعراب القرآن (٥٣/١).وانظر الكشف والبيان للثعلبي (١٩٧/١)، والدر المصون (٣٥٩/٢).
(٧٢) معاني القرآن (٢٠٥/٢)
(٧٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٨٢/٣)
(٧٤) انظر تفسير يحيى بن سلام (٣٢٠/١)
(٧٥) البحر المحيط (٨٩/١٩). وانظر شواذ القراءات للكرماني ص (٣١٨).
(٧٦) التحرير والتنوير (١٦٤/٢٣)
(٧٧) أخرجه عن قتادة ابن جرير في تفسيره (٩٤/٢١)، وانظر تفسير السمعاني(٤١٠/٤)، المحرر الوجيز (٤٨٣/٤)، والكشاف (٥٩/٤)، وتفسير ابن كثير (٣٦/٧).
(٧٨) تفسيره (٩٤/٢١)
(٧٩) الكشاف (٥٩/٤)
(٨٠) التحرير والتنوير (١٦٤/٢٣)
(٨١) انظر تفسير ابن جرير (٤٦٢/١٠)
(٨٢) انظر التحرير والتنوير (٢٥٣/٦). وذكر ابن عاشور معنى آخر لطيف في المراد بالآية فقال: "ويحتمل أن يكون المراد: لو أقاموا هذه الكتب بعد مجيء الإسلام، أي بالاعتراف بما في التوراة والإنجيل من التبشير ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم حتى يؤمنوا به وبما جاء به، فتكون الآية إشارة إلى ضيق معاشهم بعد هجرة الرسول إلى المدينة".
(٨٣) النكت والعيون (٥٢/٢).
(٨٤) انظر: تفسير ابن سعدي، ص٢٣٨ – ٢٣٩.
(٨٥) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم(٩٣/١ – ٩٤) حرف (الألف).
(٨٦) انظر المحرر الوجيز (٣٠٥/٢)، (٣٨٥/٣)، (١٥١/٤)، (٦٤١/٤)، (٤٥/٩)، (٣٩١/٩).
(٨٧) انظر: أصول المسيحية، لفؤاد محمَّد أحمد مصطفى ص (١).
(٨٨) انظر: تاريخ الدعوة لآدم الألورى ص (١٠٠).
(٨٩) تفسيره (٣٧٣/١٠).
(٩٠) الهداية (١٧٦٤/٣).
(٩١) تفسيره (١٢٦/٣).
(٩٢) زاد المسير (٥٥٤/١).
(٩٣) زهرة التفاسير (٢٢٢٠/٤).
(٩٤) تفسير ابن جرير(٣٧٣/١٠).ونفس نص العبارة عند مكي في الهداية(١٧٦٤/٣) دون نسبة!
(٩٥) مفاتيح الغيب (٣٧٠/١٢).
(٩٦) تفسيره (١٢٦/٣).
(٩٧) زهرة التفاسير (٢٢١٨/٤).
(٩٨) زهرة التفاسير (٢٢٢٠/٤).
(٩٩) أخرجه عن قتادة ابن جرير في تفسيره(١٦٢/٦)، وانظر المحرر الوجيز (٣٩٩/١)، وتفسير ابن كثير (٥/٢).

(١٠٠) تفسيره (٣٧٣/١٠). ونفس النص عند مكي في الهداية (١٧٦٤/٣) دون نسبة.
(١٠١) انظر تفسير ابن كثير (١٢٦/٣).
(١٠٢) انظر التحرير والتنوير (٢١٩/٦).
(١٠٣) مفاتيح الغيب (٣٧٠/١٢)، وانظر تفسير ابن كثير (١٢٦/٣).
(١٠٤) انظر مفاتيح الغيب (٣٧٠/١٢).
(١٠٥) انظر زهرة التفاسير (٢٢٢٠/٤)
(١٠٦) انظر الوسيط للواحدي (١٩٤/٢).
(١٠٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٢٩/٢).
(١٠٨) تفسيره (١٢٦/٣).
(١٠٩) انظر النشر (٢٥٤/٢)، ومعجم القراءات للخطيب (٢٨٣/٢).
(١١٠) تفسيره (٣٧٤/١٠).
(١١١) انظر مفاتيح الغيب (٣٧١/١٢)، والتحرير والتنوير (٢١٩/٦).
(١١٢) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (١٥٨٧/٢).
(١١٣) تفسيره (٢٤٣/٦).
(١١٤) تفسيره (٣٧/١٠).
(١١٥) تفسيره (٣٧٧/١٠).
(١١٦) انظر تفسير ابن جرير (٣٧٧/١٠-٣٨١)، وزاد المسير (٥٥٤/١).
(١١٧) تفسيره (١٢٨/٣).
(١١٨) تيسير الكريم الرحمن ص (١٢١).
(١١٩) انظر تفسير حدائق الروح والريحان للهرري (٣٠٠/٧).
(١٢٠) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٤٥٢/١)
(١٢١) تفسيره (١٧٥/٩)
(١٢٢) هو قول الكيا الهراسي في أحكام القرآن (٤٩٨/٢). وقال ابن كثير في تفسيره (٤٠٤/٢): "احتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان ﷺ له أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية"اهـ
(١٢٣) انظر: العدة في أصول الفقه لأبي يعلى (٣٩٢/٢).
(١٢٤) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١٧٣/٥).
(١٢٥) أحكام أهل الذمة لابن القيم (٥٣٣/١).
(١٢٦) البداية والنهاية (١٦٣/١٧).
(١٢٧) انظر زاد المسير (٣٣١/٢). وذكر ابن الجوزي قولين آخرين في معنى التصديق: ما بين يديه من البعث والنشور، والثالث: تصديق النبي صلى الله عليه وسلم الذي بين يدي القرآن.
(١٢٨) تفسيره (٩٠/١٥)
(١٢٩) التحرير والتنوير (١٦٩/١١)
(١٣٠) أضواء البيان (١٥٦/٢)
(١٣١) الهداية (٦٨٦٨/١١)
(١٣٢) انظر التفسير الوسيط للزحيلي (٩٧٢/٢)
(١٣٣) تفسيره (٩٠/١٥)
(١٣٤) زاد المسير (٣٣١/٢)
(١٣٥) التحرير والتنوير (١٦٩/١١)

(١٣٦) انظر زهرة التفاسير (٣٥٧٠/٧)
(١٣٧) تفسير مقاتل (٥٥٤/١).
(١٣٨) إرشاد العقل السليم (١١٨/٣).
(١٣٩) أخرجه عنهما ابن جرير في تفسيره (٢٤٦/٢).
(١٤٠) تفسيره (٦٨/١٧)
(١٤١) تيسير الكريم الرحمن ص (٧٥٠).

قائمة المراجع والمصادر

١. أحكام القرآن، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي، ت. موسى محمد علي وعزة عبد عطية، ط. دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى ١٤٠٥هـ.
٢. أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن القيم، ت. يوسف البكري وشاكر العاروري، ط. دار رمادي للنشر – الدمام، الأولى، ١٤١٨هـ.
٣. الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد بم محمد بن مصطفى العمادي، ت. عبد اللطيف عبد الرحمن، ط. دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٥. الأسفار المقدسة، صابر طعيمة، ط. عالم الكتب، الأولى، ١٤٠٦هـ.
٦. أصول المسيحية، فؤاد محمَّد أحمد مصطفى، وزارة الإعلام والثقافة، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ط. دار الفكر – بيروت، الأولى ١٤١٥هـ.
٨. أضواء على الصهيونية، مصطفى السعدني، القاهرة: مطابع الاهرام التجارية.
٩. إظهار الحق، لمحمد رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الهندي، ت. محمد ملكاوي، ط. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، الأولى ١٤١٠هـ.
١٠. إعراب القرآن، لأحمد بن محمد النحاس، ت. د. زهير غازي زاهد، ط. عالم الكتب – بيروت، الثالثة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.
١١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
١٢. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٣. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
١٤. تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم آدم عبد الله الألورى مكتبة وهبة بالقاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.
١٥. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، ط. مؤسسة التاريخ – بيروت، الأولى ١٤٢١هـ.
١٦. التربية في التوراة "العهد القديم" عرض وتقويم بميزان الإسلام، د/عابد توفيق الهاشمي، ط. مؤسسة الرسالة، الأولي، ١٤٢٠هـ.
١٧. التفسير البسيط، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، ت. مجموعة باحثين ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، الأولى ١٤٣٠هـ.

١٨. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لنصر بن محمد السمرقندي،ت. عادل عبد الموجود وآخرون، ط. دار الكتب العلمية–بيروت، الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
١٩. تفسير القرآن العظيم لأبي مظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، ياسر بن إبراهيم وغنيم، ط. دار الوطن – الرياض، الأولى ١٤١٨هـ.
٢٠. تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت. سامي بن محمد السلامة، ط. دار طيبة – الرياض، الأولى ١٤١٨هـ.
٢١. تفسير القرآن العظيم، لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، ت. أسامة محمد الطيب، ط. مكتبة نزار الباز – مكة، الثانية ١٤١٩هـ.
٢٢. التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط. دار الفكر – دمشق، الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٣. تفسير حدائق الروح والريحان، الشيخ محمد الأمين بن عبد الله العلوي الهرري، دار طوق النجاة – بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ.
٢٤. تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل بن سليمان الأزدي البلخي، ت. أحمد فريد، ط. دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى ١٤٢٤هـ.
٢٥. تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، ت. هند شلبي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٢٥هـ.
٢٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت. عبد الرحمن اللويحق، ط. مؤسسة الرسالة – بيروت، الأولى ١٤٢٠هـ.
٢٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، ت. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط.مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية دار هجر–مصر،طبعة أولى ١٤٢٢هـ.
٢٨. الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت. محمد فؤاد عبد الباقي، ط. المطبعة السلفية – القاهرة، الأولى ١٤٠٠هـ.
٢٩. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، ت. د. أحمد الخراط، ط. دار القلم – دمشق، الأولى ١٤١٥هـ.
٣٠. زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط. المكتب الإسلامي – بيروت، الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٣١. زهرة التفاسير محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة.ط. دار الفكر العربي.
٣٢. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت.صدقي محمد جميل،ط. دار الفكر ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٣٣. شرح العقيدة الطحاوية، لأبي جعفر الطحاوي، شرح معالي الشيخ صالح آل الشيخ، ت. عادل رفاعي، ط. مكتبة دار الحجاز – القاهرة، الأولى ١٤٣٣هـ.
٣٤. شواذ القراءات، لمحمد بن أبي نصر الكرماني، ت. الدكتور شمران العجلي، ط. مؤسسة البلاغ – بيروت، الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
٣٥. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، ت. محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، توزيع دار الكتب العلمية – بيروت، بدوت تاريخ.
٣٦. العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.
٣٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، ت. د.

عبد الرحمن عميرة، ط. دار الوفاء – المنصورة، الثانية ١٤١٨هـ.
٣٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي – القاهرة، د. ت.
٣٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
٤٠. محاضرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة، ط. الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض، الأولى ١٤٠٤هـ.
٤١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت. السيد عبد العال، ط. وزارة الأوقاف بقطر، الثانية ١٤٢٨هـ.
٤٢. المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، ط. دار القلم – دمشق، ١٩٩٠م.
٤٣. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ت. عبد الجليل شلبي، ط. عالم الكتب – بيروت، الأولى ١٤٠٨هـ.
٤٤. معاني القرآن، ليحيى بن زياد الفراء، ت. د. عبد الفتاح شلبي وعلي ناصف، ط. دار السرور، بدون تاريخ.
٤٥. معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٤٠٩هـ.
٤٦. معجم القراءات القرآنية، لـ د.عبد اللطيف الخطيب،ط.دار سعد الدين– دمشق، الأولى ١٤٢٢هـ.
٤٧. مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، للفخر الرازي،ط. دار إحياء التراث العربي– بيروت، الأولى ١٤١٥هـ.
٤٨. من قضايا التوراة دراسة وتحليل، محمد شلبي شتيوي،ط. مكتب الفلاح،الكويت،الأولى ١٩٨٨م.
٤٩. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة. الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري والدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، الرياض، ط. دار كنوز إشبيليا – الرياض، ١٤٢٦هـ.
٥٠. النشر في القراءات العشر، لمحمد بن الجزري، ت. زكريا عميرات، ط. دار الكب العلمية – بيروت، الأولى ١٤١٨هـ.
٥١. النكت والعيون، لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي، ت. السيد بن عبد المقصود، ط. مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، بدون تاريخ.
٥٢. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي، ت. مجموعة باحثين، ط. جامعة الشارقة، الأولى ١٤٣٠هـ.

رسائل علمية:

١- جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس، رمضان مصطفى الدسوقي، رسالة دكتوراة بكلية أصول الدين والدعوة – جامعة الأزهر بالمنصورة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
٢- الكتاب المقدس دراسة تاريخية تحليلية نقدية، لمختار خضر حسن إبراهيم، رسالة ماجستير، بجامعة أم درمان كلية أصول الدين والتربية، بالسودان. رسالة قديم مرقومة بالآلة الكاتبة، لم يدون عليها تاريخ.